14 أكتوبر
14 OCTOBER
www.14october.com

مدارس الفن التشكيلي ونشأتها 1 - 2

تعددت المذاهب الفنية في أوروبا بعد انقضاء فترة الفن المسيحي الذي انتشر في القرون الوسطى فظهر فن النهضة العظيم في أوائل القرن الخامس عشر وصاحب ذلك اعتزاز الفنان بفرديته بدلاً من أن يكون ذائبا في مجتمع كبير..إلا أن التغيرات الدينية والسياسية والفكرية التي ظهرت في المجتمع لـ خدمة الطبقة عام (1600) كان لها دور في ظهور فن الباروك الذي كان في خدمة الطبقة البورجوازية وطراز الروكوكو الذي ارتبط بالعائلات الحاكمة، على أن طراز الروكوكو اختفى من فرنسا بعد قيام الثورة الفرنسية عام 1789م وظهر طراز فني استمد مقوماته من الفنون الإغريقية الرومانية باسم الكلاسيكية العائدة.

إعداد/ إدارة الثقافة

وتوالت الحركات الفنية في الغرب منذ مطلع القرن التاسع عشر فظهرت الرومانتكية والطبيعية والواقعية.. ولأول مرة في تاريخ الفنون نجد أن الهجوم التشكيلي للفن يخضع لتأثير العلم والاكتشافات الحديثة حيث بدأ العلماء يبحثون في علاقة الضوء بالألوان كما اخترعت آلة التصوير الشمسي وساهمت هذه الأحداث في ازدهار المذهب التأثيري.. وما إن نصل إلى القرن العشرين حتى نقابل مذاهب جديدة من أهمها التكعيبية والوحشية والمستقبلية.. وعندما قامت الحرب العالمية الأولى أثرت الفوضى التي عمت البلاد في المجتمعات الإنسانية وانفعلت طائفة من الفنانين تبحث عن الشهرة بالأهوال والمآسي فضربوا بالقيم الجمالية التي ورثوها عن أجدادهم عرض الحائط وأخرجوا أعمالا شاذة تحارب الفن عرفت باسم (الدادا) واختتمت هذه الحركات المتعددة بحركتي السريالية والتجريدية وتهدف الأولى إلى الغوص في أعمال اللاشعور على حين تسعى الثانية إلى البحث في جمال الأشكال اللاموضوعية والهندسية.

المدرسة الكلاسيكية

قبل أن نتحدث عن المدرسة الكلاسيكية في الفن يجدر بنا أن نتعرف على المعنى الذي يكمن خلف هذا المسمى (كلاسيكي)، لقد جرت العادة أن نطلق لفظ كلاسيكي على الشيء التقليدي أو القديم، بل نطلق هذا اللفظ على الشخص الذي يتمسك بالنظم السابقة التقليدية دون تغيير أو إضافة. والحقيقة أن لفظ كلاسيكية هو مفردة يونانية وتعني (الطراز الأول) أو الممتاز أو المثل النموذجي، حيث أعتمد اليونان في فنهم الأصول الجمالية المثالية، فنرى في منحوتاتهم أشكالاً للرجال أو النساء وقد اختاروا الكمال الجسماني للرجال والجمالي المثالي في النساء، فقد كانوا ينحتون أو يرسمون الإنسان في وضع مثالي ونسب مثالية، لقد ظهر الرجل في أعمالهم الفنية وكأنه عملاق أو بطل كمال جسماني، وظهرت النساء وكأنهن ملكات جمال، فالمفهوم الكلاسيكي كان عندهم هو الأفضل، بل المثال والجودة.. وقبل أن تستخدم هذه الكلمة في القرن الثامن عشر كانت الكلاسيكية قد انبعثت من جديد في إيطاليا، في بداية القرن الخامس عشر، إذ كانت إنذاك نهضة شاملة في كافة ميادين العلم شملت فن الرسم والنحت، وقد تركز في تلك الفترة الاهتمام بالأصول الإغريقية من الفنون الجميلة، ثم نادت مجموعة من الفنانين بإحياء التقاليد الإغريقية والرومانية، التي كانت آثارها في فن النحت والعمارة والتصوير تنتشر في أنحاء إيطاليا. ومن أشهر فناني هذه المدرسة الفنان المعروف (ليوناردو دا فينشي) في فن التصوير والرسم و(مايكل انجلو) في فن النحت والعمارة وغيرهما، وقد سميت فترة هؤلاء بفترة العصر الذهبي، واعتبرت أعلى المراحل الفنية في عصر النهضة، وكان ذلك في القرن السادس عشر، ومن أشهر أعمال الفنان ليوناردو دا فينشي لوحة (الجيوكندا) أو ما تسمى بالموناليزا، أما أشهر أعمال مايكل انجلوا فهو تمثال داود .

المدرسة الواقعية

جاءت المدرسة الواقعية ردا على المدرسة الرومانسية، فقد أعتقد أصحاب هذه المدرسة بضرورة معالجة الواقع برسم أشكال الواقع كما هي، وتسليط الأضواء على جوانب مهمة يريد الفنان إيصالها للجمهور بأسلوب يسجل الواقع بدقائقه دون غرابة أو نفور. فالمدرسة الواقعية ركزت على الاتجاه الموضوعي، وجعلت المنطق الموضوعي أكثر أهمية من الذات فصور الرسام الحياة اليومية بصدق وأمانة، دون أن يدخل ذاته في الموضوع، بل يتجرد الرسام عن الموضوع في نقله كما ينبغي أن يكون، أنه يعالج مشاكل المجتمع من خلال حياته اليومية، أنه يبشر بالحلول.

لقد اختلفت الواقعية عن الرومانسية من حيث ذاتية الرسام، إذ ترى الواقعية أن ذاتية الفنان يجب أن لا تطغى على الموضوع، ولكن الرومانسية ترى خلاف ذلك، إذ تعد العمل الفني إحساس الفنان الذاتي وطريقته الخاصة في نقل مشاعره للآخرين.

إن المدرسة الواقعية هي مدرسة الشعب، أي عامة الناس بمستوياتهم جميعا، ويصفها عز الدين إسماعيل عندما يتحدث مقارنا فنانا رومانسيا بفنان واقعي قائلا : كان (ديلاكروا) وهو فنان رومانسي يرى أن على الفنان أن يصور الواقع نفسه من خلال رؤيته الذاتية في حين ذهب كوربيه وهو فنان واقعي إلى ضرورة تصوير الأشياء الواقعية القائمة في الوجود خارج الإنسان، وأن يلتزم في هذا التصوير الموضوعية التي تنكمش أمامها الصفة الذاتية، وان يستخدم في هذا التصوير أسلوباً واضحا دقيق الصياغة وأن يختار موضوعه من واقع الحياة اليومية، فينفذ بذلك إلى حياة الجماهير، يعالج مشكلاتهم ويبصر بالحلول، ويجعل من عمله الفني على الإجمال وسيلة اتصال بالجماهير. ويعتبر الفنان كوربيه من أهم أعلام المدرسة الواقعية فقد صور العديد من اللوحات التي تعكس الواقع الاجتماعي في عصره، حيث أنه أعتقد أن الواقعية هي الطريق الوحيد لخلاص أمته.

والجدير بالذكر أن الفنان كوربيه فنان فرنسي ريفي بدأ حياته بتصوير حياة الطبقات الغنية ثم سار على النهج الباروكي في الفن، وهو فن أهتم بتصوير حياة الطبقات الغنية، ثم سار على نهج الرومانسيين، وفي عام 1848 م بدأ يفكر في ترك الحركة الرومانسية، بعد أن اقتنع أنها هرب من الواقع ولجوء إلى الخيال والذاتية، إذ يقول أنني لا أستطيع أن ارسم ملاكا ؛ لأنه لم يسبق لي أن شاهدته. وعلى أية حال فقد صور الفنان كوربيه العديد من الأعمال الفنية ومن أشهرها لوحة (المرسم) ولوحة (الجنازة) وهي من أشهر أعماله إذ صور فيها جنازة لشخص وفيها صورة لكلب المتوفى، وكأنه يحس بالحزن، وقد وقف مع المشيعين وكأنه يشيع صاحبه، فالصورة تعكس واقعية صادقة لذلك المشهد. وكذلك يعد الفنان (كارفاجيو) فنانا واقعيا إيطالي الجنسية، ظهر في القرن السادس عشر، في فترة سابقة لعصر كوربيه، ومن أشهر لوحاته (العشاء) ويشاهد بها مجموعة من الأشخاص، وقد أمتاز أسلوبه بتوزيع الأضواء الصناعية في اللوحة.

المدرسة الرومانسية

ظهرت المدرسة الرومانسية الفنية في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، وفسرت إلى حد بعيد ذلك التطور الحضاري في ذلك الوقت، الذي ابتدأ مع تقدم العلم وتوسع المعرفة.

وتعتمد الرومانسية على العاطفة والخيال والإلهام أكثر من المنطق، وتميل هذه المدرسة الفنية إلى التعبير عن العواطف والأحاسيس والتصرفات التلقائية الحرة، كما اختار الفنان الرومانسي موضوعات غريبة غير مألوفة في الفن، مثل المناظر الشرقية، وكذلك اشتهرت في المدرسة الرومانسية المناظر الطبيعية المؤثرة المليئة بالأحاسيس والعواطف، مما أدى إلى اكتشاف قدرة جديدة لـحـركـات الفرشاة المندمجة في الألـوان النابضة بالحياة، وإثارة العواطف القومية والوطنية والمبالغة في تصوير المشاهد الدرامية.

ويؤمن فنان الرومانسية بأن الحقيقة والجمال في العقل وليس في العين، ولم تهتم المدرسة الرومانسية الفنية بالحياة المألوفة اليومية، بل سعت وراء عوالم بعيدة من الماضي، ووجهت أضواءها على ظلام القرون الوسطى، ونفذت إلى ما وراء أسرار الشرق حيث الخيال والسحر والغموض، حيث تأثر الفنانون الرومانسيون بأساطير ألف ليلة وليلة.

وكان من أهم وأشهر فناني الرومانسية كل من (يوجيه دي لاكرواه) و(جاريكو) فقد صور لاكوروا العديد من اللوحات الفنية، ومن أشهرها لوحة الحرية تقود الشعب، وفي هذه اللوحة عبر الفنان عن الثورة العارمة التي ملأت نفوس الشعب الكادح، وصور فيها فرنسا على شكل امرأة ترفع علما ومعها الشعب الفرنسي في حالة اندفاع مثير وبيدها اليسرى بندقية، وعلى يسارها طفل يحمل مسدسين، وكأنه يقول لنا أن الغضب يجتاح نفوس عامة الشعب، ومن أعماله أيضا خيول خارجة من البحر .

أما الفنان (جريكو) فقد صور الكثير من الموضوعات الفنية، من بينها لوحة كانت سببا في تعريفه بالجمهور، وهي لوحة غرق الميدوزا ، وهي حادثة تعرضت لها سفينة بعرض البحر وتحطمت ولم يبق منها سوى بعض العوارض الخشبية التي تشبث بها بعض من بقوا أحياء للنجاة، ففي هذه اللوحة صور الفنان صراع الإنسان مع الطبيعة.

المدرسة التأثيرية أو الانطباعية

ويحاول رسامو الانطباعية تقليد الضوء عندما ينعكس على أسطح الأشياء، ويحققون ذلك باستخدام الألوان الزيتية في بقع منفصلة صغيرة ذات شكل واضح، بدلاً من خلطه على لوحة الألوان، وفضل الانطباعيون العمل في الخلاء لتصوير الطبيعة مباشرة، وليس داخل جدران المرسم، وأحياناً كانوا يقومون برسم المنظر نفسه مرات عديدة في ظروف جوية مختلفة، لإظهار كيف تتغير الألوان والصفات السطحية في الأوقات المختلفة. ومن أشهر رسامي الانطباعية (أوجست رينوار) و(بول سيزان) الفرنسيان (رينوار) أظهر براعة فائقة في رسم الطبيعة تحت الضوء الدافئ وخاصة التغيرات الدقيقة في المناخ وتأثير ضوء الشمس على الأجسام والأشكال والزهور، ويبدو هذا واضحاً في لوحاته (في الشرفة) التي رسمها عام 1879م. أما (سيزان) فقد أظهر فهماً وتقدير للألوان بكل ثرائها وشدتها اللونية مثل لوحة (زهور الأضاليا في إناء) عام 1875م. ولقد اعتقد الانطباعيون أن الخط في الرسم من صنع الإنسان، إذا لا وجود للخط في الطبيعة، وألوان المنشور كما هو معروف هي : البنفسجي والنيلي، والأزرق والأخضر والأصفر والبرتقالي والأحمر. وكانت ألوان الانطباعيين نظيفة نقية صافية، عنيت بتسجيل المشاهد بعين عابرة ولحظة إحساس الفنان في مكان وزمان واحد، إذ أن الفنان الانطباعي يقوم بتسجيل مشاهداته وانطباعاته في فترة معينة من الزمن، كما يلتقط المصور الفوتوغرافي صورة لشيء ما في لحظة معينة من النهار، لقد عني التأثيريون بتصوير الأشكال تحت ضوء الشمس مباشرة وخاصة لحظة شروق الشمس، فظهرت لوحاتهم متألقة بالألوان الجميلة. لقد عنيت الانطباعية بتسجيل الشكل العام، فالتفاصيل الدقيقة ليست من أهدافها بل يسجلون الانطباع الكلي عن الأشياء، بطريقة توحي للمشاهد أنه يرى الأجزاء رغم أنها غير مرسومة،مما يزيدها سحرا وجمالا وجاذبية من قبل المشاهد. ومن مميزات الانطباعية أيضا عدم الاهتمام بالناحية الموضوعية للوحة، إذ تمتزج الأشكال في اللوحة فتصبح كلا، وان البعد في اللوحة يأخذ امتداداً واحداً، وكما ذكرنا فالضوء في اللوحة أهم العناصر البارزة، ومما هو جدير بالذكر أن الانطباعية قد انبثقت من الواقعية، لكن ضمن إطار علمي مختلف، فهي تصور الواقع لكن بألوان تعتمد على التحليل العلمي. بقي أن نذكر جانبا مهمة هو الأساليب التي ظهرت في هذه المدرسة، إذا ظهرت فيها أساليب تؤمن النظرية بنفسها، لكن التنفيذ يختلف من فرد لأخر، فالتأثيرية لها أساليب ثلاثة : الأسلوب التنقيطي :وهو أسلوب يتبع برسم اللوحة بكاملها عن طريق النقاط الملونة المتجاورة، ويشبه هذا الأسلوب إلى حد كبير المشاهد التي نراها على شاشة التلفزيون الملون عندما تتحول الصورة إلى نقط نتيجة لعدم ضبط الهوائي أو لبعد محطة الإرسال ورداءة الأحوال الجوية. الأسلوب التقسيمي : ويعتمد على تقسيم السطوح إلى مجموعة ألوان متجاورة صريحة دون أن يمزج الألوان أو يخلطها، فالأصفر هو الأصفر والأزرق والأحمر، وهكذا فالمهم لا يرسم بالألوان الأساسية نقية صافية.

تعنى برسم الأشكال أكثر من مرة في لحظات متغيرة من النهار، كأن يرسم الفنان منظراً للطبيعة في الصباح، ثم يعود ليرسمه في الظهيرة، ثم يرسمه في المساء عند غروب الشمس.

سطور

التكوين في اللوحة الفنية

ماجد الهتاري

من المعروف أن أي لوحة تشكيلية لابد أن توجد بها عناصر فنية في داخل محيطها تقوم بجعل العمل جاذباً لا منفراً ، في أي أسلوب كان أو مدرسة فنية كانت ، فيجب أن تكون هذه العناصر متوافرة وناجحة في تكويناتها، ولا يصح للفنان أن يرسم كيفما اتفق أو بكيف كانت تلك اللحظة، ولكن يجب أن يرسم وفقاً لمبادئ علم الجمال، سواء في رسم البحر أو البر أم من الطبيعة الصامتة أم الحية، .. وحتى في المدرسة التجريدية توجب أن يرتكز الفنان على تلك المبادئ الجمالية ، وهذا ما يسمى بالتكوين الذي يعتبر أمراً غير مختلف عليه فنياً، .. فكيف يتحقق ذلك النجاح في التكوين للعمل الفني فهذا يعود إلى الموهبة والخبرة والقدرة على استيعاب مبادئ التكوين بصورة جيدة .. ويؤسفنا كثيراً أن أغلب الفنانين التشكيليين وخاصة الذين تحصلوا على فرص للدراسة قديماً إلى روسيا وغيرها لم يعودوا لنا بالفائدة ولم يفقهوا حتى في أبجديات التكوين للعمل الفني .. وعند إطلاعنا على بعض الأعمال الفنية لمشاريع التخرج للطلاب والطالبات في معهد الفنون بعدن اتضح لنا أن بعض المشرفين على الأعمال الفنية هم أنفسهم بحاجة إلى إشراف ، فرأينا أعمالاً مزرية وخاصة في تكويناتها التي تفتقر لأبسط العوامل التي تقوم عليها اللوحة الفنية كالاتزان والإيقاع والعمق والتأطير وحتى تعيين مركز السيادة والاهتمام مفقود، وهذا مؤسف من متخصصين اضطروا لتهميش أساس بناء العمل الفني مع عدم الاعتراف بقدر النفس بأنها لا تستطيع الوصول لذلك المستوى العلمي والثقافي والفني، كون التكوين في العمل يعتبر عظمه وأساسه وقوته، فمن غير أساس تفقد اللوحة توازنها وتنهار جماليا ، لذا يجب أن نقف أمام هذه النقطة الجمالية الهامة في أي عمل فني كأساس علمي وعملي وجمالي وبصري ونفسي لا جدال فيه، وقد اتفقت كل الآراء والمحاور الفنية على أن التكوين أساس بناء أي عمل فني يجب أن نتعلمه ونفقهه ونعطيه حقه من كل الجوانب بالاستناد إلى علم الجماليات في العلاقات التشكيلية بين الأشياء التي تقرأها العين ويدركها والعقل من خلال التكوين ، سواء في الخط أو اللون أو الكتلة أو الفراغ أوالضوء والظل والتوافق والإيقاع والعمق والتناوب وما إلى ذلك بين هذه العناصر لتتحقق القيمة الجمالية في التكوين الفني .

وكم تحزنني وللأسف رؤية الكثير من الفنانين الذين لهم سنوات طويلة في هذا المجال الفني وخاصة الدارسين يغيب التركيب في مكونات أعمالهم الفنية، فكيف يمكن لهم أن يكونوا مشرفين ولجان تحكيم أو تقييم وهم يفتقرون لأبسط مقومات النصاب لذلك، وخاصة لثقافة وخبرة علم التكوين والجمال، فهؤلاء والله لا يزيدون الروافد القادمة إلا خبالا، بل ويعتبرون إبادة جماعية للمواهب الصاعدة والثقافة الفنية للبلد.

كم أملنا كبير بمدير معهد الفنون الحالي الأستاذ سهل بن إسحاق بأن يقوم بالتواصل بل والضغط على وزارة الثقافة لجلب مدرسين متخصصين من خارج البلد إلى معهد الفنون في كافة التخصصات ، ألا يستحق هذا المعهد التاريخي الذي تأسس عام 1973م أن يجلب له خبرات روسية أو عراقية تعيد نهضة هذا المعهد العريق ، فلا ثقافة للبلد ولا فن إذا لم يكن من أولى اهتمامات وزارة الثقافة هذه المؤسسة التعليمية معهد جميل غانم للفنون الجميلة ..

من أعمال الفنانة التشكيلية عبير الغامدي